انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية

دكتور/ أحمد سردار محمد شيخ
أستاذ العقيدة المساعد بوحدة مواد الإعداد العام
كلية الشريعة والقانون – جامعة جازان

مستخلص البحث

اتفقت دعوة الأنبياء على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، ومن المستقر أن أتباع الأنبياء في حياتهم يكونون أشد إيمانًا واتّباعًا ممن بعدهم. لكن طوائف من بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام وقعوا في جملةٍ من الانحرافات في أركان الإيمان. ويأتي هذا البحث بعنوان (انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية)؛ هادفًا إلى تجلية تلك الانحرافات من خلال نصوص القرآن والسنة. وذلك باتباع المنهجين الاستقرائي والتحليلي. ليخلص البحث إلى تفصيل تلك الانحرافات في الإيمان بالله والكتب والرسل والقدر، بمسائلها وأدلتها وكلام أهل العلم، ومن ذلك: الانحراف في ربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، وعدم قبول التوراة، وعصيان موسى عليه السلام ومعارضته ومعاندته، والتشاؤم والتضجر وعدم الثقة بوعد الله. وأوصى البحث بالكتابة في بيان أثر تلك الانحرافات في الانحرافات العقدية التي وقع فيها بنو إسرائيل (واليهود عامة) بعد موسى عليه السلام عبر تاريخهم.

الكلمات المفتاحية: أركان الإيمان – بنو إسرائيل – اليهود – موسى عليه السلام – الانحراف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله أنعم على عباده بأن أرسل إليهم رسلاً مبشِّرين ومنذِرين، يبيِّنون للعباد طريق الخير ويحضُّونهم عليه، ويوضِّحون لهم سبيل الشر ويحذِّرونهم منه، وكل ذلك وفق ما أوحاه الله إليهم من العقائد والأحكام، فالرسل مبلِّغون عن الله شرعَه أعظمَ تبليغٍ وأوفاه. والواجب على الأمم تجاه أنبيائهم اتباعهم وطاعتهم والاستجابة لهم، واعتقاد ما جاؤوا به عن الله، والعمل به، دون شكٍّ أو تردُّدٍ أو تكاسلٍ أو اعتراض، فضلاً عن مخالفتهم علانية، وعصيانهم صراحة، ولا سيما في أبواب الاعتقاد، وفي مقدمتها أركان الإيمان.

وإن من أفضل رسل الله وأكرمهم وأعلاهم قدرًا: كليم الله موسى عليه السلام، الذي بعثه الله في بني إسرائيل، وأنزل عليه كتابه التوراة، وكان له أتباعٌ كثيرون آمنوا به واتبعوه(١). وقد تواردت وتواترت وتضافرت نصوص الكتاب والسنة في بيان مناقب أتباع موسى عليه السلام من بني إسرائيل، وذكر فضائلهم ومآثرهم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة:٤٧] ، وقوله ﷺ: "عُرِضتْ عليَّ الأُمَم، فجعل النبيُّ والنبيّان يمرُّون معهم الرَّهْط(٢)، والنبي ليس معه أحد، حتى رُفِع لي سوادٌ(٣) عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه"(٤). فنؤمن بذلك ونقرُّ به ونذكرهم بالخير وندعو لهم.

كما ورد أيضًا في النصوص بيان أن طوائف من أتباع موسى عليه السلام من بني إسرائيل، كانوا يتعرضون له –في حياته–، بأنواع الأذى والعصيان والاتهام في رسالته وخُلُقه وخِلْقته، وذلك بسبب جهلهم وسوء خُلُقهم وضعف ديانتهم واتباعهم الهوى ومعاندتهم ومكابرتهم، وكان لذلك أبلغ الأثر في وقوعهم في شتى الموبقات والمنكرات والانحرافات في جانب العقيدة في أعظم أصولها وأركانها، مما نتج عنه: ترك ما أوجب الله عليهم مما جاء به موسى عليه السلام من العقائد الصحيحة السويّة، وابتداع عقائد ما

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلومٌ أن أعظم الأمم المؤمنين قبلنا هم بنو إسرائيل". الاستقامة، ٢٠٥/٢.

(٢) الرهط: "الجماعة دون العشرة". شرح صحيح مسلم، للنووي، ٩٤/٣.

(٣) السواد: "ضد البياض، هو الشخص الذي يُرى من بعيد". فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٤٠٧/١١.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري واللفظ له، ١٢٦/٧، رقم ٥٧٠٥؛ ومسلم، ١٩٩/١، رقم ٢٢٠.

أنزل الله بها من سلطان، فوقع فيهم التحريف والتبديل للدين العظيم الذي جاء به موسى عليه السلام من عند الله، وأصبحوا على غير هدىً وصراطٍ مستقيم، كما قال تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩]، وقال سبحانه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

ويأتي هذا البحث لتجلية ذلك الجانب الهامّ الخطير، وهو الانحراف في أركان الإيمان، الذي وقع فيه فئامٌ من بني إسرائيل من أتباع موسى عليه السلام في حياته، وذلك من خلال ما ورد في ذلك في نصوص القرآن والسنة، **وعنوان البحث هو: (انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية).**

مشكلة البحث:

لا يتصور عاقلٌ -بله المؤمن الصادق- أن يقع أتباع الأنبياء في حياتهم في الانحرافات العقدية، إذ إن نبيهم بينهم، والدين قائم، والوحي ظاهر، لكن طوائف من بني إسرائيل فعلوا ذلك في حياة نبيهم موسى عليه السلام، في أركان الإيمان التي يقوم عليها الدين كله، ومن ثم؛ يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال السؤال الرئيس التالي: ما الانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام، من خلال نصوص القرآن والسنة؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث من خلال ما يأتي:

١- تعلُّق البحث بعلمٍ شريف، وهو علم دراسة الأديان، الذي أوضحه القرآن وبيّن أسسه وجوانبه وثمراته، إذ إن القرآن يشتمل على ذكر الأديان الصحيحة والباطلة، وبيان عقائدها وشعائرها وأحوالها، وعرض مواقف أهلها، وذكر عاقبتهم الحميدة أو السيئة في الدنيا والآخرة.

٢- دراسة ما يتعلق بالدين الذي أرسل الله به موسى عليه السلام، وحال أتباعه في حياته، من خلال المصادر الصحيحة (القرآن الكريم والسنة الشريفة)، وذلك له قيمةٌ كبرى عند أهل التخصص، بل عند أهل العلم عامة.

٣- الكشف عن الانحرافات العقدية التي وقع فيها بعض بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام، وذلك مما يعنى به المختصون في علم الأديان، فتلك الانحرافات

العقدية تنامت وتوالت وامتدت عبر تاريخهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من أشد أنواع الانحرافات العقدية في جميع أبواب الدين ومسائله.

٤- لم أجد خلال بحثي في مصادر العلم وأوعيته من أفرد هذا الموضوع بالبحث.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق هدفٍ رئيسٍ وهو: بيان انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام، من خلال ما ورد في ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

حدود البحث:

للبحث حدودٌ موضوعيةٌ وزمانية؛ كما يأتي:

الحدود الموضوعية: من ثلاثة نواحٍ:

الأولى- بنو إسرائيل، فلا علاقة لموضوع البحث بغيرهم، من الديانات والبشر عامة(١).

الثانية- الانحرافات العقدية في أركان الإيمان، دون غيرها من أبواب العقيدة والأحكام.

الثالثة- نصوص القرآن والسنة، فيدخل في ذلك أصالةً آيات القرآن وأحاديث السنة، وتبعًا ما يبيّن تلك النصوص مما هو مدوَّنٌ في كتب التفسير وشروح الحديث والعقيدة والأديان ونحوها، فلا علاقة لموضوع البحث بدراسة ذلك من الناحية الفقهية أو التاريخية مثلا، أو بمقارنة ما ورد من ذلك في القرآن والسنة بما هو مدوَّنٌ في كتب الأديان القديمة والمعاصرة وغيرها.

الحدود الزمانية: حياة موسى عليه السلام منذ بعثته إلى وفاته، دون ما كان قبل بعثته أو بعد وفاته.

الدراسات السابقة:

يُعنى المؤلفون والباحثون بذكر موقف بني إسرائيل (واليهود عامة) من أنبياء الله ورسله -ومنهم موسى عليه السلام-، كما يُعنَون أيضًا ببيان جملةٍ من الانحرافات التي وقعوا فيها في جانب العقيدة والأحكام والأخلاق وغيرها، لكنهم يذكرون ذلك إجمالاً دون

(١) يؤكّد الباحث -في هذا السياق- على أن البحث إنما يتناول ما فعله بعض بني إسرائيل تجاه موسى عليه السلام، مع الإيمان المطلق بما للمؤمنين المطيعين من بني إسرائيل من الفضائل والمناقب الواردة في نصوص الكتاب والسنة. وحال هذا البحث كحال من يبحث في أسباب افتراق الأمة المحمدية، مع الإيمان الكامل بأفضليتها على بقية الأمم وبقاء الحق فيها إلى قيام الساعة.

قصد الاستيفاء أو التحليل، ولم أقف على بحثٍ تناول -بالتفصيل والتحليل- انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسىً عليه السلام، من خلال نصوص القرآن والسنة.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وفق ما يأتي:

المقدمة: وهي مشتملةٌ على الافتتاحية، وعنوان البحث، ومشكلته، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: وقوع بني إسرائيل في الانحرافات العقدية إجمالاً في حياة موسى عليه السلام.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بِـ (الانحرافات) و(بني إسرائيل).

المطلب الثاني: النصوص الدالة على وقوع بني إسرائيل في الانحرافات العقدية إجمالاً في حياة موسى عليه السلام.

المبحث الثاني: الانحرافات في أركان الإيمان من بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الانحراف في الإيمان بالله.

المطلب الثاني: الانحراف في الإيمان بالكتب.

المطلب الثالث: الانحراف في الإيمان بالرسل.

المطلب الرابع: الانحراف في الإيمان بالقدر.

الخاتمة: وتشتمل على ملخص نتائج البحث، وتوصيات البحث.

منهج البحث:

أولاً- استخدمت في البحثِ المنهجَين العلميّين الآتيين:

١- المنهج الوصفي الاستقرائي، ويفيد هذا المنهج في استقراء المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث، ومحاولة الاستفادة منها في تدعيم مسائله.

٢- المنهج الوصفي التحليلي، ويستخدم هذا المنهج في تحليل النصوص الواردة في الموضوع وفق قواعد محددة، كحمل بعضها على بعضٍ، وضمّ المؤتلف وفصل

المختلف، تقييدًا وإطلاقًا أو تخصيصًا وتعميما، لتبدوَ بصورةٍ واضحةٍ متكاملة، وتحقق أهداف البحث.

ثانيًا– التزمت بلوازم المنهج العلمي في كتابة البحوث، وهي:

١– عزوت الآيات القرآنية إلى أماكنها في القرآن بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢– ما كان من الأحاديث النبوية في الصحيحين أو أحدهما: اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وما كان في غيرهما ذكرت من أخرجه دون استيعاب مع ذكر حكم أهل العلم عليه.

٣– عزوت الآثار إلى مصادرها.

٤– عزوت الأقوال إلى أصحابها في المصادر الأصيلة، مع تحليلها إن اقتضى الأمر ذلك.

٥– ذكرت معاني الألفاظ الغريبة.

هذا، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا البحث خالصًا صوابا، وأن ينفع به المسلمين، إنه جواد كريم.

المبحث الأول: وقوع بني إسرائيل في الانحرافات العقدية إجمالاً في حياة موسى عليه السلام

دلّت نصوص القرآن والسنة على أن طوائف من بني إسرائيل وقعوا في جملةٍ من الانحرافات العقدية في حياة موسى عليه السلام، ولعله من المناسب -قبل الشروع في بيان ذلك- تحرير مفاهيم البحث؛ ليتمكن القارئ الكريم -إن شاء الله- من تصوُّر مسائل البحث ومضمونه، ثم ننطلق بعد ذلك إلى بيان تلك النصوص ودلالاتها.

المطلب الأول: التعريف بـ (الانحرافات) و(بني إسرائيل)

يمثِّل عنوانُ البحث الملامحَ الرئيسة لموضوع الدراسة، فكان من المناسبِ البدءُ بتعريف مفرداته قبل الشروع في مباحثه ومسائله، ومفردات عنوان البحث هي: (انحرافات، بني إسرائيل).

أولاً- التعريف بكلمة (انحرافات):

(الانحرافات): جمع (انْحِراف)، من الفعل (انْحَرَفَ) الثلاثي المزيد بالهمزة والنون، يقال: (انْحَرَفَ عن الشيء، يَنْحَرِف، انحرافًا): مَالَ وعَدَلَ[1]، والثلاثيُّ منه: (حَرَفَ الشيءَ عن وجهه، يَحْرِفه، حَرْفًا): عَدَلَه وصَرَفَه عنه وغيَّره[2]، و(التَّحْرِيف): التغيير[3]، و(تحريف الكلام): عَدْلُه عن جهته[4].

فالانحراف: هو الميل بالشيء وتغييره من جهته إلى جهةٍ أخرى، أو الميل إلى الطرف والناحية[5].

والمراد به في هذا البحث: مَيْل بعض بني إسرائيل وانصرافُهم عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها موسى عليه السلام في أركان الإيمان، وتغييرُهم إياها، إلى الباطل والضلال الذي تمليه عليهم أهواؤهم وعقولهم الفاسدة.

ثانيًا- التعريف بكلمة (بني إسرائيل):

كلمة (بني إسرائيل) مركب إضافي من جزئين:

كلمة (بني)، وهي جمع (ابن)، وهي معروفة المعنى.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٢/٢-٤٣.

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ٣٠٧/٣؛ والمصباح المنير، للفيومي، ، ١٠٣/١؛ والقاموس المحيط، للفيروزأبادي، ص٨٠٠.

(٣) القاموس المحيط، للفيروزأبادي، ص٨٠٠.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٢/٢.

(٥) انظر: المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي، ص١١٢.

وكلمة (إسرائيل): وفيها أربع مسائل، هي: اللغات في نطقها (وهي سبع لغات)[١]، وأصلها (أعجميٌّ، أو بعضها عربيٌّ وبعضها أعجمي) ومعناها[٢]، والمقصود بها، وسبب التسمية[٣].

والذي يعنينا في هذا البحث هو المسألة الثالثة، فَـ(إسرائيل) اسم آخر[٤] -وقيل: لقب[٥]- لنبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -عليهم السلام-، وقد نقل الشوكاني اتفاق المفسرين على ذلك[٦].

وبناءً على ما تقدَّم؛ فإن فمعنى (بني إسرائيل): أبناء يعقوب -عليه السلام- ومن جاء من نسلهم[٧]. وقد قص الله علينا في كتابه الكريم قصة ارتحال يعقوب -عليه السلام- مع بنيه إلى أرض مصر للاستقرار فيها معززين مكرمين في ظل يوسف -عليه السلام-. وقد عاشوا فيها حتى بعث فيهم نبي الله موسى عليه السلام.

والمراد بِـ(بني إسرائيل) في هذا البحث: نسل يعقوب -عليه السلام- الذين كانوا في حياة موسى -عليه السلام- وآمنوا به واتبعوه، في مصر وبعد خروجهم منها.

ولهذه الكلمة (بني إسرائيل) تعلُّقٌ وثيقٌ بكلمة (اليهود)؛ وقد اختلف العلماء والباحثون: هل يقتصر إطلاق (اليهود) على أتباع موسى عليه السلام بعد ما وقع فيهم التبديل والتحريف -وذلك بعد وفاة موسى عليه السلام بأزمنةٍ طويلة-، أو يشمل معهم من كان من أتباعه في حياته وبعد موته حتى وقوع التبديل والتحريف؟[٨]. والذي يميل إليه الباحث ويرتضيه هو القول الثاني، وأن التعريف المختار لِـ(اليهود) هو: "أتباع موسى عليه السلام، المؤمنون بالتوراة، قبل النسخ والتبديل أو بعده، من بني إسرائيل وغيرهم"[٩].

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٣١/١.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٢٤٨/١؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٣١/١؛ ولسان العرب، لابن منظور، ٢٦/١١؛ والكليات، للكفوي، ص١١٥؛ وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، ٧٤/١؛ والشخصية الإسرائيلية، لظاظا، ص١٦؛ وأديان وفرق، للقضاة وآخرين، ص١٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٣١/١؛ والكليات، للكفوي، ص١١٥؛ والشخصية الإسرائيلية، لظاظا، ص١٤-١٧؛ وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، لقدح، ص٢٤٦.

(٤) انظر: العين، للفراهيدي، ١٨١/١، ١٨٩/٣؛ وغريب الحديث، للخطابي، ٤٢٦/١؛ ولسان العرب، لابن منظور، ٢٦٣/١.

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٧٤/١؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، للعمادي، ٩٤/١.

(٦) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٧٣/١.

(٧) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٤٨/١-٢٤٩؛ وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، لقدح، ص٢٤٠.

(٨) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للخلف، ص٤٦؛ وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، لقدح، ص٢٤١.

(٩) انظر: تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٧٥/١؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٥/٧؛ وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، لقدح، ص٢٤١.

المطلب الثاني: النصوص الدالة على وقوع بني إسرائيل في الانحرافات العقدية إجمالاً في حياة موسى عليه السلام

دلّت النصوص على أن طوائف من بني إسرائيل وقعوا في الانحرافات العقدية في حياة موسى عليه السلام، ومن تلك النصوص:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥]؛ فدلَّت هذه الآية على أن موسى عليه السلام بعد أن وعظ قومه ووبَّخهم واستنكر عليهم ما يجده منهم من الإيذاء -على علمٍ ويقينٍ منهم بنبوته وحقوقه عليهم-؛ لم ينقادوا للحق، ولا اتبعوا الهدى، ولم يبدّلوا الإيذاءَ طاعةً وتوقيرا، بل مالوا عن الحق، وانصرفوا عنه، وتركوا ما أُمِروا به من احترام موسى عليه السلام وطاعته، وأصرّوا واستمرّوا وتمادوا في إيذائه وعصيانه، فعاقبهم الله على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، فأمال قلوبهم وصرَفها عن الحق والهدى والتوفيق والطاعة، وخذلهم وأضلَّهم وأسكن قلوبهم الشك والحيرة والخذلان، جزاء بما ارتكبوا، فلا يليق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر[(١)].

وكان من مظاهر تلك العقوبة: وقوعهم في شتى الانحرافات العقدية، وأعظمها ما كان في أركان الإيمان، كما سيأتي ذكره في المبحث الثاني.

٢- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]؛ ويأتي سياق هذه الآية بعد بيان قصة البقرة وما جرى فيها، وقد تضمنت أنواعًا من إصرار هؤلاء القوم من بني إسرائيل على مخالفة موسى عليه السلام ومعارضته والتعنُّت في طاعته، بل الاستهزاء به، فذكر سبحانه أنه بعد تبيُّنهم ومعاينتهم وسماعهم للآيات البينات الدالة على عظيم قدرة الله، وعِظَم قدْر موسى عليه السلام عند ربه، مما يوجب المبادرة إلى طاعته والإذعان لأمره وترك معاندته؛ لم ينفعهم ذلك خضوعًا للحق، ولا لانت قلوبهم وخشعت، فأطاعت الله وانقادت لأمر رسوله، ولكنها -على النقيض من ذلك- جَفَتْ وغلظت وصلبت، فهي كالحجارة صلابةً ويبسًا وغلظًا وشدة، أو أشد! فلا لين فيها ولا رحمة ولا

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٥٨/٢٣؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٢٤٢/٤؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٣٠٢/٥؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٨٢/١٨؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٠٩/٨؛ وفتح القدير، للشوكاني، ٢٦٢/٥؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٨٥٩.

خضوع ولا خشوع، ولا إنابة ولا إذعان لآيات الله! فهم ماضون في معاصيهم وموبقاتهم من التكذيب بموسى عليه السلام، والجحود لأوامره![1]

فدلّت الآية على قسوة قلوب أولئك القوم من بني إسرائيل، ومن آثار قسوة القلب: "تحريف الكلم عن مواضعه، وذلك من سوء الفهم وسوء القصد، وكلاهما ناشئٌ عن قسوة القلب. ومنها: نسيان ما ذُكِّر به، وهو ترك ما أُمر به علما وعملا"[2]، كما قال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]. ومنها: عدم قبول الحق والانقياد له[3]، وسرعة قبول الشبهات والضلال[4]، كما قال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٣-٥٤]. وكان من آثار ذلك: وقوعهم في الانحرافات العقدية كما بيّنه القرآن والسنة.

٣- قوله تعالى: ﴿ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥]، ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦]، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥]؛ ففي هذه الآيات وصْف هؤلاء المخالفين من بني إسرائيل -في حياة موسى عليه السلام- بالفسق، وهو: الخروج عن طاعة الله، وترك اتباع أمره[5]. وقد جاء الوصف في الآية الأولى من موسى عليه السلام، وفي الآيتين الأخريين من الله سبحانه، كما جاء في الآية الثالثة أن الله لا يوفِّق -للهدى والصلاح والإيمان- من لم يزل الفسق وصفًا له، ولا قصْدَ له في معرفة الهدى واتباعه[6]. فدلّت الآيات على أنهم -في حياة موسى عليه السلام- قد وقعوا في الفسق، حتى أضحى وصفًا لازمًا لهم، وسياق الآيتين الأوليين في قصة أمر موسى عليه السلام

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١/١٤٦-١٤٧؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ١/١٣٢؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١/١٥٨-١٦٠؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ١/١٦٦-١٦٧؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/٤٦٢-٤٦٥؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/٣٠٤.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ص١٠٦.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، ١/١٠٠؛ والروح، له أيضا، ص٢٤١.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٥٤٢.

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري، ١/٤٠٩-٤١٠.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٨٥٩.

بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، وقد تضمنت هذه القصة جملةً من الانحرافات العقدية التي وقع فيها بعض بني إسرائيل.

المبحث الثاني: الانحرافات في أركان الإيمان من بني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام

بعد ذكر نصوص القرآن الدالة على أن من بني إسرائيل -في حياة موسى عليه السلام- من وقعوا في جملةٍ من الانحرافات العقدية، وأن ذلك كان ديدنهم في عددٍ من الأحوال والمناسبات، يأتي هذا المبحث لتفصيل ودراسة تلك الانحرافات في أركان الإيمان خاصة، وذلك من خلال بيان انحرافاتهم في: الإيمان بالله والكتب والرسل والقدر، وفق ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة، ولم أقف على نصوصٍ صريحةٍ في بيان وقوعهم في انحرافاتٍ عقديةٍ في الإيمان بالملائكة واليوم الآخر، في حياة موسى عليه السلام.

المطلب الأول: الانحراف في الإيمان بالله

من خلال تتبُّع النصوص الواردة في الوقائع التي حصلت بين بني إسرائيل وموسى عليه السلام في حياته، يتضح بجلاء وقوع طوائف منهم في عددٍ من الانحرافات العقدية المتعلقة بالإيمان بالله سبحانه، وقد تنوعت تلك الانحرافات شاملةً الإيمانَ بربوبيته سبحانه، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وذلك على النحو التالي:

أولاً- الانحرافات العقدية المتعلقة بربوبية الله سبحانه:

الله سبحانه هو الخالق الملك المدبر، شهِدتْ وأقرَّتْ وخضعتْ لربوبيته الكائنات، والإيمان بذلك مستقرٌّ في قلوب جميع الإنس والجن، ضروريٌّ فيهم، فهم معترفون بالخالق، مقرُّون به، وهو مما يتفق عليه جميع المؤمنين من الأولين والآخرين، وجميع الكتب الإلهية[1]، بل إن المشركين من جميع الأمم كانوا يقرّون بربوبية الله، وأن خالق السماوات والأرض واحد[2].

وما سوى الربِّ الخالقِ الواحدِ مخلوق، ويستحيل أن يكون الرب مخلوقًا، لأن المخلوق لا يمكن أن يخلُق، فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجَد بنفسه، فضلاً عن أن يكون موجِدًا لغيره[3]، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، كما أن المستحق للعبادة

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٨٤٢/٨؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٧٥/١٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٢٩.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للحكمي، ١٠٠/١. وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٥٤/٤؛ والصفدية، ٢٥/٢؛ وشرح العقيدة الأصفهانية، ص٤٢؛ ومجموعة الرسائل والمسائل، جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٠٢/١.

هو الرب الخالق وحده، وأما المخلوق فلا يستحق شيئًا من العبادة، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبنو إسرائيل –في قولهم لموسى عليه السلام: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وفي عبادتهم العجل من دون الله– وقعوا في عددٍ من الانحرافات العقدية التي تتعلق بربوبية الله سبحانه، وهي:

١– أنهم طلبوا من المخلوق أن يجعل لهم إلهًا! وأنى للمخلوق المربوب أن يجعل لنفسه أو لغيره إلهًا؟ فكما أن المخلوق لا يخلق غيره فكذلك ليس له أن يأمر غيره في الدين دون شريعةٍ من الله(١)، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢– أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم المخلوق المربوب إلهًا، فنقضوا الربوبية من أساسها، إذ إن الخالق المستحق للعبادة لا يمكن أن يكون مخلوقا، "فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلها"(٢)، قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١]، فالعبادة الخالصة إنما تكون للخالق، لا للمخلوق، ولما كان كلُّ ما سوى الله مخلوقًا، غيرَ خالقٍ ذاتَ نفسه وأفعالَها ولا ذاتَ غيرها وأفعالها؛ فإنه لا يصح أن يكون إلها(٣).

٣– أنهم سوَّوا بين المخلوق المربوب والرب الخالق، في جواز أن يكون كلٌّ منهما إلها! وقد قال سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل: ٢٠]، فالله سبحانه هو الخالق المدبِّر المنعِم، وغيره لا يخلق شيئًا ولا ينعِم على غيره نعمةً صغيرةً ولا كبيرة، فمن اتخذ إلهًا مع الله فقد سوى بين الخالق والمخلوق، وناقَضَ العقل، وارتكب أعظم الظلم والجهل(٤)، ولذا كان جواب موسى عليه السلام لهم: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، "وأيُّ جهلٍ أعظم مِنْ جَهْلِ مَنْ جَهِلَ ربَّه وخالقه، وأراد أن يسوِّي به غيرَه، ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورا؟"(٥).

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٠٢/٣.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٤١.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣١٨/١٣؛ وبدائع الفوائد، لابن القيم ١٤٨/١–١٤٩؛ والتوضيح عن توحيد الخلاق، لآل الشيخ، ص٦٨، ٢٩٢.

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٨٦/١٧–١٨٨؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٧٩/٦؛ والفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٦٥٦/٦؛ وبدائع الفوائد، لابن القيم، ١٤٨/١–١٤٩؛ والمطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، لآل الشيخ، ص٦٦؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٤٣٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٣٠٢. وانظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢٩٩/٢. وفي سفر إشعيا ١/٣: "عرف الثورُ والحمارُ مَن مالِكُه، ولم يعرف بنو إسرائيل إلههم". نقلاً عن: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للهاشمي، ٣٦٣/١.

ثانيًا- الانحرافات العقدية المتعلقة بألوهية الله سبحانه:

خلق اللهُ الإنسَ والجن، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لعبادته وحده لا شريك لـه، المتضمنة لكمال محبته والخضوع والذل له[1]، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. والعبادة: "اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[2].

والعبادة حقٌّ خالصٌ لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وقال عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]. فمن اعتقد أنه يجوز صرفُ شيءٍ من العبادات لغير الله، أو فعل ذلك؛ فقد انحرف عن التوحيد الذي جاءت به الرسل ودعت إليه، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقد كان لطوائف من بني إسرائيل -في حياة موسى عليه السلام- مواقف وقعوا فيها في الانحراف في باب ألوهية الله سبحانه، بل وقعوا -في بعضها- في الشرك الصريح، وذلك من خلال أربع صور، هي:

الأولى- استحسان الشرك بالله تعالى في عبادته:

الثانية- طلب الإشراك بالله سبحانه في عبادته:

فبعد أن نجى اللهُ بني إسرائيل من فرعون، ورأوا تلك الآية العظيمة الباهرة الدالة على وحدانية الله وقوته وجبروته وقدرته (انفلاق البحر ونجاتهم وهلاك فرعون وجيشه)[3]؛ مرّوا على قومٍ مشركين، لهم أصنامٌ يعبدونها ويعظمونها ويتبركون بها ويتقربون إليها من دون الله، فلم تستنكر ذلك قلوبُ جماعةٍ من بني إسرائيل، أو تأنفه نفوسهم، بل أعجبهم وسرَّهم فاستحسنوه وأحبوه، ثم أرادوا أن يكون في ملة التوحيد (ملة

(١) انظر: العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٤-٤٨؛ وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، ص٥٩-٦٠؛ وطريق الهجرتين وباب السعادتين، له أيضا، ص٢٣٨.

(٢) العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٤. وانظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/١٢٠-١٢١.

(٣) انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٢/٢٧٤.

موسى عليه السلام) ما يشابه ذلك، فسألوا موسى عليه السلام أن يشرع لهم في دينهم أصنامًا يعظِّمونها ويتقربون بتعظيمها إلى الله[1]، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف:١٣٨].

فتعجَّبَ موسى عليه السلام من قولهم، وبيّن لهم حقيقة ما خالَطَ نفوسَهم ونطقت به ألسنتهم، وأنه الجهل المطلق، وأكَّده بـ{إنّ}، فقال: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾، فلا جهل أعظم من هذه المقالة ولا أشنع[2]. والجملة الاسمية دالةٌ على أن الجهالة صفةٌ ثابتةٌ فيهم وراسخةٌ من نفوسهم كالغريزةِ والصفةِ الثابتة فيهم، لا ينتقلون عنها في حاضرٍ ولا مستقبل، وصيغة الفعل المضارع تفيد الوصف المستمر، وأن ذلك ديدنهم على الدوام، ولم يقل: جَهِلْتُم، الذي فيه وصفٌ لما فعلوه في هذه الحادثة وحسب[3].

و(الجهل) هنا يشمل: جهلَهم حقَّ الله الخالصَ في العبادة وحده لا شريك له، وجهلَهم أنه لا تجوز العبادة لشيءٍ سوى الله، وتوهمهم أنه يجوز عبادة غير الله، وجهلَهم ما يجب أن يُنزَّه الله عنه من الشريكِ والمثيل، وجهلَهم بمفاسد عبادة غير الله.

ثم استنكر عليهم سؤالَهم منه ذلك، وأنه عليه السلام لا يمكن البتة أن يلتمس لهم إلهًا سوى الله، أو يجعل لهم معبودًا يعبدونه من دون الله[4].

قال سبحانه: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨–١٤٠]. قال قتادة: "يا سبحان الله! قومٌ أنجاهم الله من العبودية، وأقطعهم البحر، وأهلك عدوهم، وأراهم الآيات العظام؛ ثم سألوا الشرك صراحية!"[5].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٠/١٣؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٧/٢؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٤٤٧/٢–٤٤٨؛ وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للهاشمي، ٥٢٩/٢؛ وإغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢٩٩/٢؛ وفتح القدير، للشوكاني، ٢٧٤/٢؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٣٠٢. وقد أشار أ.د. محمود قدح إلى أنه ليس في التوراة المحرفة ذكر هذه القصة. انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ٥٢٩/٢ هامش ٢.

(٢) انظر: مدارك التنزيل، للنسفي، ٦٠٠/١؛ والبحر المحيط، لابن حيان، ١٥٨/٥.

(٣) انظر: البحر المحيط، لابن حيان، ١٥٨/٥؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٨٢/٩. وقال ابن الوزير: "حتى بُعث موسى ﷺ مع تلك الآيات العظام؛ كالعصا واليد البيضاء ومجاوزة بني إسرائيل البحرَ بعد أن انفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم وتغريق فرعون ومن معه، إلى غير ذلك من الحجر الذي انفجرت منه العيون، وما كان ظهر قبل ذلك من الجراد والقمل والضفادع والدم، وغير ذلك مما يطول ذكره، وأنزل عليه التوراة وبين فيها الأحكام والحلال والحرام، وظهر أمره أتم الظهور. وإنما كانت أعلام موسى أكثر وآياته أظهر لأن بني إسرائيل كانوا –والله أعلم– أجهل الأمم وأغلظهم طبعا وأبعدهم عن الصواب وأبلدهم عن استدراك الحق، ألا ترى أنهم بعد ما جاوز الله بهم البحر وغرق آل فرعون وهم ينظرون قالوا لموسى حين مروا على قوم عاكفين على أصنام لهم: يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة!". إيثار الحق على الخلق، ص٧٥. وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٩٢/١–٣٩٣.

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٠/١٣–٨٤؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٧/٢؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٤٠٣/٢–٤٠٤؛ وزاد المسير، لابن الجوزي، ١٥٠/٢؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٤٤٧/٢–٤٤٨؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٦٧/٣؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٨١/٩.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ٥٣٣/٣، وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

الثالثة– الوقوعُ في الشرك وفعلُه:

الرابعة– تركُ عبادة الله مطلقًا، وعبادةُ غيره:

فحين غادر موسى عليه السلام بني إسرائيل متوجِّهًا للقاء ربه امتثالاً لأمره، استخلف عليهم أخاه هارون عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]، ولما استبطأوا عودة موسى عليه السلام إليهم من لقاء ربه، مكر بهم السامري؛ لما يعلمه عنهم من فساد الطويَّة وإخلاف الوعد ومحبّة الشرك؛ فصنع لهم صنمًا على صورة عجلٍ من ذهب[(١)]، وأقنعهم أن هذا الصنم هو إلههم وإله موسى، وأن موسى عليه السلام ضلَّ عن ربه الذي هو ذلك العجل الذي يرونه أمامهم، وأن موسى كان موعودًا أن يلاقي ربه (العجل) في هذه البقعة، لكنه أخطأ وذهب للقاء ربه في مكانٍ آخر[(٢)]! فتابعوا السامريَّ في دعواه الباطلة السمجة الواهية، وعبدوا العجل من دون الله.

فبيّن لهم هارون عليه السلام أن ذلك شركٌ أثيمٌ وضلالٌ مبين، وأن الله يختبر إيمانهم بذلك العجل الذي أُحدِث فيه الخوار ليَظهَر ويمتاز المؤمن حقًّا من مريض القلب الشاك في دينه، وأكّد لهم أن ربَّهم وإلههم الحق هو الله وحده، وأمرهم –وهو نبيهم وخليفة موسى عليهم– أن يتبعوه ويطيعوه في عبادة الله وحده وطاعته والإخلاص له وترك عبادة العجل، فما كان منهم إلا التمادي في غيِّهم وضلالهم واتباعهم أهواءهم وجرأتهم على عصيان أمر الله ورسوله، فأعلنوا استمرارهم على شركهم وعبادتهم العجل من دون الله، وأنهم سيظلون على ذلك ثابتين عليه حتى يرجع إليهم موسى[(٣)]. "فعكف ثمانية آلاف رجلٍ منهم على العجل يعبدونه، وقيل: كلهم عبدوه إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل...، وقال الحسن: كلهم عبدوه إلا هارون وحده"[(٤)].

---

(١) ذكر ابن جريج أن تلك الأصنام التي ورد ذكرها في الآية السابقة كانت على صور البقر، فعلِقت في أذهان بني إسرائيل، فصوّر السامريُّ الصنم الذي دعاهم لعبادته على صورة العجل، لتقبله نفوسهم. انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٠/١٣؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٧/٢؛ وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للهاشمي، ٥٢٩/٢؛ والدر المنثور، للسيوطي، ٥٣٣/٣. وذكر ابن الجوزي أن "في سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان: أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس. والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهًا وأنكر عليهم، أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد". زاد المسير، ٦٥/١.

(٢) لأهل العلم أقوالٌ في تفسير عدة مواطن من هذه القصة، تراجع في جامع البيان، للطبري، ٦٣/٢-٦٩، ٨٦/١٣-٩٠، ٣٤٨/١٨-٣٦٣.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٥٨/١٨. وقصة عبادة بني إسرائيل للعجل في: سفر الخروج الإصحاح (٣٢)؛ نقلاً عن: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ٥٢٩/٢ هامش٣.

(٤) معالم التنزيل، للبغوي، ١١٧/١.

والذي ورد في نصوص القرآن هو اتخاذهم العجل إلهًا والعكوف عليه وأنهم صرّحوا بأنه إلههم، وكل هذه العبادات تفيد أنهم عبدوا العجل بأنواع العبادات التي يُعبَد بها الإله الحق سبحانه، كما ورد أنهم فرحوا بذلك أشد الفرح، وابتهجوا أعظم الابتهاج، حتى أن حبَّهم العجلَ خالطَ قلوبهم واختلط بها كما يختلط اللونُ باللون[1]، قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، وورد في بعض الآثار أنهم أحبوه حبًّا لم يحبوا مثله شيئًا قط[2]، فاجتمع في حقهم صرف العبادة الظاهرة والباطنة لغير الله.

وجاء في بعض الروايات عن السلف: أن بني إسرائيل لم يعبدوا العجل تقرُّبًا بذلك إلى الله، بل زعموا افتراءً وبهتانًا أن العجل هو إلههم وإله موسى عليه السلام، وأن موسى عليه السلام نسي إلهه عندهم (وهو العجل) وذهب يتطلبه في مكان آخر[3]، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرا، وهذا يدل على أنهم مَحَضوا العبادة للعجل، وتركوا عبادة الله مطلقًا!

وقد وصف الله ما وقعوا فيه من الشرك بأنه ظلمٌ وافتراء، وأنه سببٌ لاستحقاقهم غضبَه سبحانه والذلة في الدنيا والخسران في الآخرة، قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[الأعراف: ١٤٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف: ١٥٢]، ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿١٤٩﴾﴾[الأعراف: ١٤٩]. كما بيّن سبحانه بطلان عبادة العجل بعدد من الصفات التي تدل على عدم استحقاقه الإلهية من أي وجه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[الأعراف: ١٤٨]، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴿٩٠﴾﴾[طه: ٨٩-٩٠]، ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[طه: ٩٧-٩٨].

(١) انظر: معالم التنزيل، للبغوي، ١٤٣/١؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١٧٦/١.

(٢) جامع البيان، للطبري، ٦٦/٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) وهو مرويٌّ عن: ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٢٤٣٢/٧. وقتادة، انظر: تفسير يحيى بن سلام، ٢٧٣/١. والسدي وابن زيد والضحاك، انظر: جامع البيان، للطبري، ٦٥/٢، ٣٥٧/١٨. وهو الذي رجحه الطبري في جامع البيان، ٣٥٧/١٨؛ وذكره البغوي في معالم التنزيل، ٢٧٢/٣؛ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم، ٣١١/٥، وغيرهم. وقال الهاشمي: "وقد شهد أهل الكتاب واعترفوا بأن الله تعالى هو الذي نفخ الروح في العجل حتى عبده بنو إسرائيل". تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ٤٠٤/١.

ثالثًا- الانحرافات العقدية المتعلقة بأسماء الله وصفاته:

الله سبحانه المتفرِّد بالأسماء الحسنى والصفات العلى، قد بلغت في الحسن غايته وفي العلوّ ذروته، لا مثل له في شيء منها، وهو سبحانه موصوفٌ بصفات الكمال كما يليق بجلاله وعظمته، ومنزَّهٌ عن جميع صفات النقص من كل وجه[1]، وقد اتفقت دعوة الأنبياء والرسل على ذلك، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]، "نزَّه اللهُ تعالى نفسَه عما يصفه به العباد، إلا ما وصفه به المرسلون...، فنزَّه نفسَه سبحانه عما يصفه به الكافرون، ثم سلَّم على المرسلين، لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد"[2].

وقد كان من الانحرافات العقدية المتعلقة بأسماء الله وصفاته، التي وقع فيها بنو إسرائيل في حياة موسى عليه السلام؛ ما يأتي:

١- الجهلُ بعظمة الله سبحانه، وارتكابُ ما يناقض تعظيمَه سبحانه: فالله سبحانه هو العظيم، الذي له جميع معاني العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته، ولا يقدر مخلوقٌ أن يعظِّمه سبحانه كما ينبغي له، فهو سبحانه موصوفٌ بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، ولا يستحق أحدٌ من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله، بل الله وحده هو المستحق من عباده أن يعظِّموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، بمعرفته ومحبته والذل له والانكسار له، والخوف منه والثناء عليه وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، وأن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر، وأن يُعظَّم ما حرَّمه وشرعه من زمانٍ ومكانٍ وأعمال، وأن لا يُعترَض على شيءٍ مما خلقه أو شرعه[3].

وقد وقع بنو إسرائيل في مناقضة جميع معاني عظمة الله في عددٍ من المواقف والصور، ومنها: استحسانهم الشرك (عبادة الأصنام) الذي حرمه الله، وتسويتهم بين المخلوق والخالق، وتعظيمهم العجل بما لا يُعظَّم به إلا الله، وتصديقهم أن الله أرسل رسولاً (موسى عليه السلام) قد نسي ربَّه وجهله وضلَّ عنه، وتوهُّمهم أنهم يتقرّبون إلى الله باتخاذ وسائط بينهم وبينه، وعصيانهم أمرَ الله في مناسباتٍ عديدة، والتعنُّت في طاعته، ومعارضته، وغير ذلك، ولذلك فسَّر عددٌ من أهل العلم قوله تعالى عن موسى

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ١/٣٩٧-٣٩٨؛ والتدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ص٨-١٢؛ والجواب الصحيح، جميعها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٤/٤٠٥-٤٠٦.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص١١.

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي، ص١٦٦، ٢١٦-٢١٨.

عليه السلام خطابًا لقومه: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] بمعنى: جهلتم عظمة الله وجلاله[١].

٢- وصْفُهم الله بصفات النقص والعجز: فإن بني إسرائيل جعلوا العجلَ هو الإلهَ الذي دعا إليه موسى عليه السلام، وصفاتُ العجل -كما ذكرها الله في كتابه- أنه "لا يتكلم، ولا يردُّ جوابًا، ولا يملك ضرًّا ولا نفعا، ولا يهدي إلى رشد"[٢]، فالإله -عندهم إذًا- موصوفٌ بهذه الصفات، وكلها صفات نقص، فيكونون بذلك قد وصفوا الله سبحانه بما هو منزَّهٌ عنه من صفات النقص، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

٣- الجهلُ بقدرة الله سبحانه وقوَّته وعزّته: الله سبحانه هو القدير الذي لا يعجزه شيء، القويُّ إذا بطش بشيءٍ أهلكه، العزيز الذي لا يغلبه غالبٌ ولا يقهره قاهر، بل يغلب كلَّ شيءٍ ويقهره[٣]. وهذه المعاني العظيمة تملأ قلب المؤمن قوةً على طاعة الله، وإقدامًا على الحق، وسرعةً في الاستجابة لأمره مهما كانت ظنون النفس وأوهامها، لكن بني إسرائيل افتقدوا جميع هذه المعاني العظيمة وهم يمتنعون عن قتال القوم الجبارين، وكأنهم شعروا بأن قوة أولئك الجبارين أعظم من قوة الله، وأن الله لا يقدر عليهم، وأنهم هم الذين يَغلبون ولا يُغلبون! ولذلك تجرّأوا على أن يقولوا لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولم ينفعهم تذكيرُ موسى عليه السلام لهم بأن تلك الأرض قد كتبها الله لهم، ولا موعظةُ الرجلين بالتوكل على الله، وأن الله سينصرهم إن أطاعوا الأمر وأقدموا ودخلوا القرية[٤].

٤- الجرأة على الله سبحانه بطلب ما لا يجوز، فقد بلغ التحدي والمكابرة بطوائف من بني إسرائيل أنهم علَّقوا إيمانهم بموسى عليه السلام وبما جاء به من الحق، بأن يحقِّق لهم طلبهم ومرادهم، وإلا فإنهم لن يؤمنوا به! فطلبوا أن يكشف اللهُ الغطاءَ ويرفع الساترَ بينهم وبينه، فينظرون إليه سبحانه بأبصارهم علانيةً! وقيل: إنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يسمعوا كلام الله، ثم طلبوا منه أن يروا الله! وقيل: قالوا لموسى عليه السلام: إنك قد سمعتَ ربك فأَرِنا إياه! وقيل: إن موسى عليه السلام لما أمرهم

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٠/١٣؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٧/٢؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٦٧/٣.
(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ١٤٥/٢.
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٨/٣، ٣٧٣/١٥. وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، لابن سعدي، ص٢١٤-٢١٥.
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٦٧/١٠-٢٠٠؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٣٤/٢-٣٨؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١٧٣/٢-١٧٥؛ والجامع لأحكام القرآن، والقرطبي، ١٢٣/٦-١٣٣؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧٤/٣-٨١؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٢٢٧-٢٢٨.

بالإيمان بالألواح قالوا: ومن يأخذ بقولك أنت؟ لا والله حتى يطلع الله إلينا ونراه جهرة فيقول: هذا كتابي فخذوه![1].

وقد اختلف المفسرون في سبب سؤال بني إسرائيل ذلك من موسى عليه السلام، وهي كلها أسبابٌ تنطق على بني إسرائيل بالجرأة والجناية، وعدم اعتقادهم ما يليق بالله سبحانه من العظمة والجلال، ومما ذكروه:

١- أن بني إسرائيل طلبوا رؤية الله بأبصارهم في الدنيا، والله سبحانه لم يجعل لعباده ذلك في الدنيا، وإنما جعله للمؤمنين في الجنة، ولذلك عندما سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ لم يَعِبْهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل أجابهم ﷺ بقوله: "نعم"[2] الحديث.

٢- أن سؤالهم كان على سبيل الإلحاح والإصرار، وفي ذلك جرأةٌ عظيمةٌ على الله، وإساءةٌ للأدب معه سبحانه.

٣- أن هذا السؤال منهم كان على سبيل التحكم والاقتراح، لا على سبيل الانقياد، والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد[3].

المطلب الثاني: الانحراف في الإيمان بالكتب

شرَّف اللهُ رسولَه موسى عليه السلام، وواعده للقائه ومناجاته، ولما جاء موسى لميقات ربه كلَّمه سبحانه، وأنزل عليه كتابه التوراة مكتوبةً في الألواح، فيها التذكير والأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والأحكام، وأمره أن يأخذها بقوة القلب وصحة العزيمة بجدٍّ واجتهاد، وأن يأمر قومه فيحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها[4]، قال سبحانه: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤-١٤٥].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٨٠/٢-٨٩، ٣٥٨/٩؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ١١٠٣/٤-١١٠٤؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٧١٨/١؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٠٠/١، ٤٤٦/٢.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري ٤٤/٦، رقم ٤٥٨١؛ ومسلم ١٦٧/١، رقم ١٨٣.

(٣) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد، ص٧٨؛ ونقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدارمي، ٣٦٦/١-٣٦٨؛ وجامع البيان، للطبري، ٨١/٢-٨٢، ٣٥٩/٩؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٧١٨/١؛ والإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص٤٨؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ١٢/٤-١٣؛ والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني، ٦٤٩/٢-٦٥٠؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٤٣٨/٦-٤٣٩؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٠٠/١، ٤٤٦/٢؛ وفتح القدير، للشوكاني، ٦١٤/١؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٦٢، ٢١٣، ٣٠٤؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٣٨/٦.

(٤) انظر: معالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٣/٢.

ولكن بعض بني إسرائيل انحرفوا في إيمانهم بكتاب الله (التوراة)، فعندما عرضه عليهم موسى عليه السلام، وأمرهم أن يقبلوا ما فيه من أمر الله فيأتمروا به، وما فيه من نهي الله فينتهوا عنه، وأن يعملوا بذلك بإخلاصٍ وصدقٍ وحقٍّ وحزمٍ وهمّةٍ وجدٍّ واجتهادٍ ونشاطٍ ومواظبةٍ في أدائه، من غير تقصيرٍ ولا توانٍ، وأن يذكروا ما فيه من حلالٍ وحرامٍ وثوابٍ وعقابٍ ووعدٍ ووعيدٍ وترغيبٍ وترهيب، فيتلونه ويتدبرونه ويعتبرون به، ولا ينسونه أو يغفلون عنه؛ عندها جاهروا بالعصيان، وبادروا إلى الرفض، وتجرؤوا على إعلان ذلك والتصريح به دون أي حياءٍ أو تردُّد.

وكان سببُ رفضِهم وعصيانِهم قبولَ ما في التوراة شاهدًا عليهم بالكبر والعناد والجهل والهوى وعدم توقير الله ورسوله وكتابه؛ فإنهم اشترطوا لقبولهم ما في التوراة أن يوافق أهواءَهم ورغباتهم بأن تكون الفرائضُ يسيرةً والحدودُ خفيفة، فإن وافقها قبلوا التوراةَ وإلا فلا. وقيل: بل إنهم اطّلعوا أولاً على التوراة فثَقُل وكبُر عليهم ما فيها من الأحكام والأوامر والنواهي، ولم يوافق أهواءهم، فامتنعوا وأبوا عن قبولها. وقيل: إنهم امتنعوا عن قبول التوراة لأنهم رفضوا أن يقبلوا كلام موسى عليه السلام، لأنهم عدَّوه بشرًا مثلَهم لا فضل له عليهم في ذلك، واستنكروا أن يأخذوا بقوله، وطلبوا أن يكلمهم الله كما كلم موسى عليه السلام فيأمرهم بأن يأخذوا بالتوراة[1]. فرفع اللهُ الجبلَ فوقهم وأمرهم بقبول التوراة والعمل بهم وإلا أسقط الجبل عليهم، فحينها آمنوا بها كُرهًا وخوفًا، وأضمروا الخلاف والعصيان في قلوبهم، ثم ما لبثوا أن أعرضوا عنها[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٦٤﴾﴾[البقرة: ٦٣-٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[البقرة: ٩٣]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٧١﴾﴾[الأعراف: ١٧١].

ويمكن إيضاح الانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل في جانب الإيمان بالكتب في الأمور الآتية:

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٥٦/٢-١٦٤، ٣٥٦-٣٦١، ٢١٧/١٣-٢٢١؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ١٢٩/١-١٣٢، ١٦١٠/٥-١٦١٢؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١٥١/١، ١٧٥-١٧٦، ٤٢٣/٢؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ١٢٥/١-١٢٦، ١٤٣؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤٣٦/١-٤٣٩، ٣١/٢-٣٢؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٨٧/١-٢٨٨، ٣٢٩-٣٣٠، ٤٤٦/٢، ٤٩٩/٣-٥٠٠؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٥٩.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٥٦/٢، ٢١٩/١٣؛ وإغاثة اللهفان، لابن القيم، ٣١١/٢-٣١٢.

١- رفضهم قبول التوراة، عند أمر موسى عليه السلام لهم بذلك.
٢- تعنّتهم باشتراط أمرٍ لا يجوز لهم طلبه لقبول التوراة، وهو أن يروا الله في الدنيا جهرة.
٣- تعليقهم قبول التوراة بأن يطّلعوا عليها أولاً ليعرفوا موافقتها لأهوائهم.
٤- عدم قبولهم التوراة إلا بعد الترهيب بنزول العذاب عليهم (إسقاط الجبل عليهم)، ورؤيتهم ذلك بأبصارهم.
٥- قبولهم التوراة مع إضمار المخالفة والإعراض عنها في أقرب فرصةٍ تسنح لهم.

المطلب الثالث: الانحراف في الإيمان بالرسل

الرسُل مبلِّغُون عن الله وحيَه ودينَه وشرعَه وأمرَه ونهيَه، قد اصطفاهم الله لهذه المهمة العظيمة الشريفة، وهم فيما يبلغونه عن الله أُمَناء صادقون، ولا يبتغون من ذلك إلا امتثال أمر الله وطاعته وتبليغ رسالته، فلا يشغل بالهم ما يقوله الناس عنهم، بل يخشون الله وحده، ويخافون من التقصير في تبليغ ما أمرهم الله به[١]. وما من نبيٍّ بعثه الله "إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم"[٢]. فَـ"من تمام رحمة الله بعباده ونعمته عليهم، وكمال حكمته في إقامة الحجة والإعذار إلى من سبق عليه القول منهم: أن جعل شريعة كل رسولٍ من رسله شاملةً كلَّ ما تحتاجه أمته، جامعةً لما يصلح شأنها، وينهض بها في إقامة دولتها وبناء مجدها، وتقويم أودها وحفظ كيانها، ويجعلها مثلاً أعلى في جميع شئونها، سعيدةً في الدنيا والآخرة"[٣]. وكذلك -حقًّا- كانت رسالة موسى عليه السلام الذي اختصَّه الله بتكليمه إياه.

ولا شك في أن إيذاء الرسل والأنبياء جرمٌ جسيمٌ ومنكرٌ عظيم[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦١﴾﴾[التوبة: ٦١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴿٥٧﴾﴾[الأحزاب: ٥٧]، ومن ثمّ؛ فإنه ستكون له -على مرتكبه- آثارٌ سيئةٌ وعواقب وخيمة، وفي مقدمة ذلك: ما يكون في أركان الإيمان ومبانيه العظام.

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٧٧/٢٠-٢٧٨.
(٢) أخرجه مسلم، ١٤٧٢/٣، رقم ١٨٤٤.
(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، ص٢٠٧.
(٤) انظر: الشريعة، للآجري، ١٤٠١/٣-١٤٠٢؛ والصارم المسلول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٤٠-٤١؛ وأحكام أهل الذمة، لابن القيم، ١٣٩٥/٣.

وقد وقع طوائف من بني إسرائيل في انحرافاتٍ شتى في الإيمان برسولهم موسى عليه السلام، وهو –من ثم– انحرافٌ في الإيمان بالرسل عامةً[(١)]، ومما بينه القرآن والسنة في ذلك:

أولاً– إيذاء الرسول: فقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثبات وجود الإيذاء من طوائف من بني إسرائيل لموسى عليه السلام في حياته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥][(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب:٦٩][(٣)]، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لما كان يوم حنينٍ آثر رسولُ الله ﷺ ناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب، وآثرهم يومئذٍ في القسمة، فقال رجل: والله، إن هذه لقسمةٌ ما عُدِل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله، لأخبرن رسول الله ﷺ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصِّرْف[(٤)]، ثم قال: "فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله"، قال: ثم قال: "يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"[(٥)].

وقد اجتهد أهل العلم في بيان أو تحديد ذلك الأذى، وأدلى كلٌّ منهم بدلوه؛ رغبةً في معرفة مراد الله ورسوله من ذلك، وبعضهم يزيد على بعض، ومنهم من نصَّ على أن (الأذى) الوارد في النصوص المتقدمة يشمل جميع ما ورد في بيانه وتفسيره وتحديده في النصوص الأخرى من القرآن والسنة[(٦)]، وذلك من باب تفسير نصوص القرآن والسنة ببعضها.

---

(١) قال الطبري: "ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبيَّ الله فرموه بعيبٍ كذبا وباطلا". جامع البيان، ٣٣٢/٢٠. وقال الواحدي: "{أزاغ الله قلوبهم} أمالها عن الحق، يعني: أنهم تركوا الحق بإيذاء نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق، جزاءً لما ارتكبوا". التفسير الوسيط، ٢٩٢/٤.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي، ٢٩٢/٤؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٨٢/١٨؛ والبحر المحيط، لابن حيان، ١٦٥/١٠؛ والصارم المسلول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٢٦؛ وإغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لابن القيم، ١١٢٣/٢–١١٢٥؛ وفتح القدير، للشوكاني، ٢٦٢/٥؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٨٥٨.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٣٢/٢٠؛ ومدارك التنزيل، للنسفي، ٤٨/٣؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٦٧٣.

(٤) صبغ أحمر يصبغ به الجلود. شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٥٨/٧.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٩٥/٤، رقم ٣١٥٠؛ ومسلم –واللفظ له– ٢/ ٧٣٩، رقم ١٠٦٢. وانظر: طرح التثريب، للعراقي، ٢٢٩/٢؛ وفيض القدير، للمناوي، ٢٧/٤؛ ودليل الفالحين، لابن علان، ١٨٦/١

(٦) انظر –على سبيل التمثيل–: جامع البيان، للطبري، ٣٣٥/٢٠؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٨٢/١٨؛ وإغاثة اللهفان، لابن القيم، ٢/ ١١٢٣–١١٢٥؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٨٦/٦؛ وفتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٤٣٨؛ وفيض القدير، للمناوي، ٢٧/٤؛ وفتح القدير، للشوكاني، ٢٦٢/٥.

ومن خلال التأمل والنظر في نصوص الكتاب والسنة، وجهود أهل العلم في تفسيرها وشرحها؛ يتضح أن إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام يمكن جمعُ أفراده تحت ثلاثة أنواعٍ رئيسة[1]، وهي:

١- إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في رسالته، ولهذا النوع أمثلةٌ كثيرةٌ في ثنايا البحث.

٢- إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في خلُقه، ومن أمثلته: تدبيرهم وتآمرهم على اتهامه عليه السلام بالزنا. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان موسى يقول لبني إسرائيل: إن الله عز وجل يأمركم بكذا وكذا حتى دخل عليهم في أموالهم، فشق ذلك على قارون فقال لبني إسرائيل: إن موسى يزعم أن ربه أمره فيمن زنى أن يرجمه، فتعالوا نجعل لبغيٍّ من بني إسرائيل شيئا، فإذا قال موسى: إن ربه أمر فيمن زنى أن يرجم فنقول: إن موسى قد فعل ذلك بها، قال: فاجتمعوا وجاءوا بالبغي فحبسوها، وقال موسى: إن الله يأمركم بكذا وكذا فيمن سرق أن تقطع يده، قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قالوا: ما على الزاني إذا زنى؟ قال: الرجم، قالوا: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قالوا: فإنك قد زنيت، قال: أنا؟ وجزع من ذلك قال: فأرسلوا إلى المرأة فلما أن جاءت عظَّم عليها موسى بالله وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، فقالت: أما إذا حلفتني فإني أشهد أنك بريء وأنك رسول الله، وقالت: أرسَلوا إلي فأعطوني حكمي على أن أرميك بنفسي، قال: فخر موسى لله ساجدًا يبكي، فأوحى الله إليه ما يبكيك؟ قد أمرت الأرض أن تطيعك فأْمُرها بما شئت"[2].

٣- إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام في خِلْقته، ومن أمثلته: اتهامهم إياه بالأُدْرة[3] والبرص، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن موسى كان رجلا حيِيًّا سِتِّيرا، لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيبٍ بجلده: إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ

(١) قال الشوكاني: "{لم تؤذونني} ... أي: لم تؤذونني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو لم تؤذونني بالشتم والانتقاص". فتح القدير، ٢٦٢/٥. وانظر: جامع البيان، للطبري، ٦٢٩/١٩-٦٣٠؛ وكشف المشكل من حديث الصحيحين، ٤٩٦/٣؛ وزاد المسير، كلاهما لابن الجوزي، ٤٨٥/٣-٤٨٧؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ٥٨٨/٢-٥٩٠؛ وإغاثة اللهفان، كلاهما لابن القيم، ٢٤١/٢-٢٤٢؛ وفتح الباري، لابن حجر، ٤٤٨/٦؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (التتمة)، لعطية سالم، ١٠٨/٨-١٠٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٣٠٠٥/٩، رقم ١٧٠٧٦؛ والطبري في جامع البيان، ٦٢٩/١٩-٦٣٠. وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٤٤٨/٦.

(٣) هو العظيم الخصيتين. فتح الباري، لابن حجر، ٧٣/١.

أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإٍ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا أو خمسا"(١).

وقد تجاوز إيذاؤهم لموسى عليه السلام إلى إيذاء هارون عليه السلام -كما سيأتي-.

ثانيًا- معصية الرسول: فقد بيّن القرآن والسنة عددًا من الوقائع والأحداث التي وقع فيها بنو إسرائيل في معصية موسى وهارون عليهما السلام، تارةً بالتصريح، كقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾[المائدة: ٢٢]، فأعلنوها لموسى عليه السلام صراحةً أنهم لن يطيعوا أمره(٢). وتارةً بالتلميح، كقولهم: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا﴾[طه: ٨٧]، فلم يعتذروا عن كفرهم ومخالفة رسولهم، وكأنهم راضون بذلك، وإنما اعتذروا بما ليس بذنبٍ وليس له علاقةٌ بمخالفتهم(٣). ومرةً في حضوره، كما في امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة. وأخرى في غيابه، كما في عبادتهم العجل. وقد تصل هذه المعصية إلى الفسق، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[المائدة: ٢٦]، وقد تصل إلى الكفر، كما في عبادتهم العجل من دون الله.

وتتجلي معصيتهم للرسول في حادثتين عظيمتين:

الأولى- رفضهم طاعة موسى عليه السلام في قبول ما في التوراة والعمل بها، وقد سبق الحديث عن ذلك آنفًا. قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[البقرة: ٩٣].

الثانية- حين أمرَ موسى عليه السلام قومَه بدخول الأرض المقدَّسة (وهي بيت المقدس وما حواليه)، فكان منهم العصيان المبين، مع الجرأة الشديدة والمجاهرة الشنيعة على ذلك، في موقفين متتاليين:

١- فبعد أن سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة، وقاربوها، وَعَظَهم عليه السلام؛ وذكَّرهم بمجامع النعم الدينية والدنيوية العظيمة التي أنعم الله بها عليهم، ورغَّبهم وحرَّضهم على الجهاد بأن الله هو الذي أمرهم بذلك وفرضه عليهم، وبأنه سبحانه قد جعلها لهم مسكنًا وقرارًا ووهبها لهم ووعدهم إياها، وهذه بشارةٌ

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري، ١٥٦/٤، رقم ٣٤٠٤؛ ومسلم، ١٨٤٢/١، رقم ٣٣٩.
(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٧١/١٠؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١٧٣/٢.
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٥٤/١٨؛ والبداية والنهاية، لابن كثير، ١٤٨/٢.

لهم بالنصر والظفر والتمكين إن امتثلوا أمر الله لهم بدخول الأرض وقتال أهلها. ونهاهم عن ضد ذلك وهو أن يخالفوا أمر الله لهم فيرجعوا القهقرى على أعقابهم وينكلوا عن الجهاد، وحذَّرهم من أنهم إن فعلوا ذلك فسينصرفون خاسرين هَلْكى؛ مع ما تقدَّم كله ما كان من بعض بني إسرائيل إلا أنهم جاهروا بالامتناع والإباء والعصيان والمخالفة، فأعلنوا وصرّحوا بأنهم لن يدخلوا الأرض التي أمرهم الله ورسوله موسى بدخولها، واعتذروا واعتلّوا عن معصيتهم القبيحة وفعلتهم الشنيعة بأن فيها قومًا ذوي خِلْقةٍ عظيمةٍ هائلة، شديدي القوة والبطش، ومن ثم؛ فإنهم لا طاقة لهم بحربهم ولا قوة لهم بهم ولا يقدرون على مقاومتهم ولا مصاولتهم، فلا يمكنهم -إذًا- الدخول إلى تلك الأرض حتى يخرج منها أولئك الجبارون الذين فيها ويسلموها لهم من غير قتال! فإن وقع ذلك وإلا امتنعوا عن دخولها[1].

٢- ثم شارَكَ في الحوار رجلان صالحان منهم، ممن يخاف الله ويخشى عقابه ويراقبه في أمره ونهيه، وأنعم الله عليهما بالإسلام وطاعة الله ورسوله والتوفيق والصلاح والفضل والصبر واليقين وقول الحق، فبذلا جهدهما في نصح قومهما، فقاما بتحريضهم وترغيبهم وتشجيعهم وإعلاء هممهم -على الاستجابة لله ورسوله وجهاد أعدائهم واسترجاع ديارهم- بأن الله معهم وهو ناصرهم، وأنهم ليس عليهم إلا أن يتبعوا أمر الله ويدخلوا باب المدينة، فإن فعلوا ذلك جعل الله لهم الغلبة والنصر والتمكين. وأنهم إن كانوا مؤمنين حقًّا بما أنبأهم به موسى عليه السلام عن ربهم وبأن الله قادرٌ على الوفاء لهم بما وعدهم فليثقوا بالله وأمره ووعده إياهم بالفتح، وسينصرهم الله ويظفرهم بعدوهم ويمكنهم منهم. فلم ينفع ذاك فيهم شيئا، بل تمادوا في غيهم، وعتوا في عصيانهم، وازدادوا عنادًا وامتناعا، فأكّدوا جازمين حازمين أنهم لن يدخلوا الأرض المقدَّسة ولا باب المدينة طوال حياتهم ما دام أولئك الجبارون مقيمين فيها. ولم يكتفوا بذلك، بل طغَوا وتجاوزا الحدّ، وخاطبوا رسولهم وواجهوه بأشنع كلام، فأبلغوه أنه إن ذهب لقتال أولئك القوم فسيتركونه يذهب هو وربه فيقاتلانهم، وأما هم فلن يبرحوا مكانهم ولن يرافقوه ولن يذهبوا معه للقتال[2]!

---

(١) ذكر البغوي: "أنهم وسوسوا على موسى وهارون، فقالوا لهما: يا ليتنا متنا في أرض مصر! وليتنا نموت في هذه البرية، ولم يدخلنا الله هذه الأرض لنقع في الحرب، فتكون نساؤنا وأبناؤنا وأثقالنا غنيمة! ولو كنا قعودًا في أرض مصر كان خيرًا لنا. وجعل الرجل يقول لأصحابه: تعالوا نجعلْ علينا رأسًا وننصرف إلى مصر!". معالم التنزيل، ٣٤/٢. وهذا ما جاء في التوراة المحرفة: سفر العدد، إصحاح (١٣، ١٤). انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، للهاشمي، ٥٧١/٢ مع هامش رقم ٤.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٦٧/١٠-٢٠٠؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٣٤/٢-٣٨؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١٧٣/٢-١٧٥؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٢٣/٦-١٣٣؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧٤/٣-٨١؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٢٢٧-٢٢٨.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

وقد طهَّر اللهُ أمةَ محمد ﷺ عن مشابهتهم في ذلك، فظهر التفاوت العظيم بين الأمتين، فإن صحابة رسولِ الله محمدٍ ﷺ سباقون إلى امتثال أمره واجتناب نهيه، والاتعاظ والانزجار ببشارته ونذارته، لم يخذلوه قط أو يتخلفوا عن نصره والقتال بين يديه، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا، لأن أكون صاحبَه أحبُّ إلي مما عدل به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا! ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه"[(١)]. وعن عتبة بن عبدٍ السلمي ﷺ: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: "قوموا فقاتلوا" قالوا: نعم يا رسول الله، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: انطلق أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن انطلق أنت وربك يا محمد فقاتلا، وإنا معكما نقاتل[(٢)]. وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير[(٣)].

ثالثًا- خذلان الرسول وترك نصرته: عندما ينال الأذى -أو يكاد- رسلَ الله، فإن أتباعهم الصادقين يكونون معهم بالعون والنصرة والتأييد والتصديق، كما قال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴿٧٥﴾﴾[الأعراف: ٧٥]، لكن طوائف من بني إسرائيل خذلوا موسى عليه السلام، وتخلَّوا عن نصرته، وامتنعوا عن تأييده، وجبُنوا عن مرافقته في دعوته وجهاده[(٤)]، بل قالوا له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴿٢٤﴾﴾[المائدة: ٢٤]، "فما أشنع هذا

(١) أخرجه البخاري، ٧٣/٥، رقم ٣٩٥٢. وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢٨٧/٧-٢٨٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ١٣٩/٢٩، رقم ١٧٦٤٤. وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٧/ ٢٨٨.

(٣) أخرجه مسلم، ١١٥/١، رقم ١٢٥.

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٨٥/١٠؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧٧/٣.

الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم!"[1].

رابعًا- التعنُّت باشتراط أو طلب ما لا ينبغي، وبالتعجيز: فقد كان طوائف من بني إسرائيل يتعنّتون عند الأمر والنهي، ويشترطون لاستجابتهم وانقيادهم، ويتكلّفون طلب ما لا يجوز لهم طلبه، ومن ذلك:

١- تعنّتهم في طلب صفات البقرة التي أمرهم الله بذبحها، وذلك في خمس مرات متتالية:

- أن موسى عليه السلام أَمَرَهم -عن أمر الله- أن يذبحوا بقرةً من البقر، من غير أن يحصر لهم ذلك على نوعٍ منها دون نوعٍ أو صنفٍ دون صنف، فلو أخذوا أيّ بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم وكانوا مطيعين لله ورسوله، لكنهم تكلُّفوا البحث عما قد كفاهم الله ووضَع عنهم مؤونته، وسألوا موسى عليه السلام -تعنُّتًا- أن يوضح لهم صفةَ تلك البقرة ليزول عنهم الإشكال -في زعمهم- فيعرفوها بصفتها ويذبحوها.

- لما أخبرهم موسى عليه السلام -عن الله سبحانه- عن صفتها من جهة عمرها، وأمرهم أن يبادروا إلى فعل ما أمرهم الله به من ذبح البقرة، تأكيدًا وتنبيهًا لهم على ترك التعنتِ والتأخرِ عن الاستجابة والطاعة؛ ما استجابوا له، بل انتقلوا إلى تعنتٍ آخر، وهو تكلُّف السؤال عن تحديد صفة البقرة من جهة لونها.

- فأجابهم موسى عليه السلام -عن الله سبحانه- عن ذلك، فلم يتّعظوا وينتهوا عن تعنُّتهم، بل انتقلوا إلى تعنتٍ جديد، وهو السؤال عن صفة البقرة إن كانت سائبةً أو عاملة، مدَّعين أن سبب سؤالهم هو أنه قد التبست وأشكلت عليهم أصناف البقر وأجناسه، وأنهم -بعد هذا الجواب- سيتبيّن لهم ما التبس عليهم فيميّزون صفات البقرة من بين سائر أجناس البقر وأنواعها وألوانها.

- فأجابهم موسى عليه السلام -عن الله سبحانه- عن ذلك، فادَّعوا -كاذبين- أن سبب تباطؤهم عن الاستجابة هو أن موسى عليه السلام لم يأتهم بالبيان التامّ الشافي -عن الله- فيما أمرهم وأخبرهم به من أمر البقرة وصفاتها، مما أدّى إلى عدم وضوح ذلك لهم، ولكنهم -بعد تلك الأسئلة منهم، وإجابة موسى عليه السلام عنها- قد اتضح لهم ذلك دون لَبْسٍ ولا إشكال، فصاروا يعرفون الواجب عليهم ويميّزون صفة البقرة التي أُمروا بذبحها من بين سائر أجناس البقر!

(١) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٢٢٨.

– ثم لم يكفِهم جميع ما تقدَّم من: التعنُّت في السؤال، والتباطؤ في الانقياد، حتى أضافوا له نوعًا جديدًا من التعنت، وهو أنهم تثاقلوا وتثبّطوا عن المبادرة إلى ذبح البقرة، حتى أنهم قاربوا أن لا يذبحوها، ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك؛ لأن –مرادهم في الأصل– لم يكن معرفة الحق والوصول إليه، ولا ذبح البقرة التي أُمروا بذبحها، وإنما التعنت في طاعة رسولهم عليه السلام(١).

٢– اشتراطهم أن يروا الله جهرةً ليأخذوا بالكتاب ويعملوا به، فقد ذكر جمعٌ من أهل العلم أنهم سألوا ذلك على طريق الاستكبارِ والعناد والتعنُّت والتمرُّد والاعتراض على موسى عليه السلام، واختلافِهم عليه، وسوءِ استقامتهم معه، والتقدمِ بين يديه، والامتناعِ من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله عز وجل؛ حتى يفعل ما يؤثرونه ويطلبونه(٢).

٣– اشتراطهم أن يخرج القوم الجبارون من الأرض المقدسة ليدخلوا فيها، وقد سبق الحديث عن ذلك.

خامسًا– التشكيك في صدق موسى عليه السلام: المؤمن الصادق لا يتزعزع إيمانه حين البلاء والضراء، كما قال تعالى عن مؤمني سحرة فرعون: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢–٧٣]، وفي المقابل نَجِد مِن بني إسرائيل مَن كلما اشتد بهم البلاء بادروا بالتشكيك في رسالة موسى عليه السلام وفيما وعدهم به، كما في قوله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[الأعراف: ١٢٩](٣)، وفي قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[الشعراء: ٦١–٦٢](٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢/١٨٢–٢٣٢؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ١/١٣٦–١٣٧؛ وتفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، ١/١٥٠؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ١/١٥٤–١٥٧؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ١/١٢٧–١٢٨؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ١/١٦٢–١٦٥؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١/٤٤٦–٤٥٥؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/٢٩٨–٣٠١.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢/٨٠–٨٩، ٩/٣٥٨؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٤/١١٠٣–١١٠٤؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ١/٧١٨؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ٤/١٢–١٣؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/٤٠٠، ٢/٤٤٦.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٣/٤٢–٤٥؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٢/٣٩٦–٣٩٧؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢/٢٢٢؛ وزاد المسير، لابن الجوزي، ٢/١٤٦؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٢/٤٤١–٤٤٢؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٧/٢٦٣.

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٩/٣٥٠–٣٥٦؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٨/٢٧٦٩–٢٧٧١؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٣/١٠٠–١٠٦؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/١٤٣–١٤٤.

سادسًا- رمْيُ موسى عليه السلام ووصْفُه بما لا يجوز أن يوصف به الرسل والأنبياء: ومن ذلك:

١- دعواهم الآثمة بأن موسى عليه السلام -وحاشاه- قد نسي ربه وجهله وأضله، وأنه غادرهم للقاء ربه، بينما ربه موجودٌ عندهم، وهو العجل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

٢- وصْفُهم موسى عليه السلام بالسخرية واللعب فيما يبلغهم إياه عن الله، وذلك يترتب عليه رمْيه عليه السلام بالجهل والسَّفه -وحاشاه-، فحين أمرَهم عليه السلام أن يذبحوا البقرة لمعرفة القاتل الذي اختلفوا فيه، تعجبوا من ذلك وتطاولوا على مقامه وقالوا له: أتجعلنا مكان سخريةٍ أو أهل سخريةٍ؟ نسألك عن القتيل وعمن قتله وتقول: اذبحوا بقرة! أتسخر وتلعب بنا؟ فظنوا بموسى عليه السلام -أنه في أمره إياهم عن أمر الله بذبح البقرة- هازئ لاعب! ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله -فيما تخبر به عن الله من أمر أو نهي- هزؤٌ أو لعب. فبرَّأ موسى عليه السلام نفسَه مما رموه به، واعتصَمَ وامتنع بالله من أن يكون من الجاهلين، وذلك يشمل: تَبَرُّأه عليه السلام: من أن يكون ساخرًا لاعبًا، ومن أن يكون من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل، ومن أن يخبر عن الله تعالى مستهزئا، ومن أن يكون من المستهزئين بالمؤمنين، فذلك كله مما ينتفي عن الأنبياء عليهم السلام. قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة: ٦٧][(١)].

٣- اتهام موسى بقتل هارون عليهما السلام: فعن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ﴾ [الأحزاب:٦٩] قال: "صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته! كان أشد حبًّا لنا منك وألين لنا منك! فآذوه في ذلك، فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل حتى علموا بموته فدفنوه"[(٢)].

سابعًا- محاولة قتل هارون عليه السلام: عندما وقع بنو إسرائيل في عبادة العجل، تصدّى لهم هارون عليه السلام بالموعظة والتذكير وبيان الحق ونهيهم عن الشرك وعن متابعة السامري الضال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، لكنهم واجهوه بالعصيان

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٨٣/٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٦٣٢/٢، رقم ٤١١٠، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي، وصححه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ٢٥٦/٦؛ والحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ٢٥٧/١٤.

وناصبوه العداء، فتركوا طاعته واتباع أمره، وقهروه، وهمّوا وقاربوا أن يقتلوه، لكنهم لم يفعلوا! فانحاز هارون عليه السلام بمن بقي معه من المؤمنين الذين لم يعبدوا العجل، حتى رجع موسى عليه السلام[1]، قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

المطلب الرابع: الانحراف في الإيمان بالقدر

للإيمان بالقدر أثرٌ عظيمٌ في نفس المسلم، ومن ذلك: امتلاء القلب قوةً وعزيمةً وثباتًا ورضًا وطمأنينة؛ وحصول الهداية وصلاح الحال حاضرًا ومستقبلاً وعاجلاً وآجلا، والسعادة والفرح بأمر الله ونهيه، وحسن التعامل مع تدبيره وخلقه، والثقة بوعده.

وعلى الضدّ من ذلك تكون حال من اختلّ أو نقص إيمانه بالقدر، فإنه قلِق النفس، كثير التشكّي، ضعيف الفؤاد، دائم المعارضة، عاجز الرأي، ساخطٌ لحاله، مقصِّرٌ في سعيه ومصالحه، معاتبٌ غيره بما هو فيه وهو سببه، محتجٌّ بما لا يَقبَل من غيره الاحتجاج به[2]. وهكذا كان طوائف من بني إسرائيل، وهذا بعض ما وقعوا فيه من الانحراف في الإيمان بالقدر[3]:

أولاً- التشاؤم والتضجّر من شرع الله ودينه: فإنهم لما اشتدّ بهم أذى فرعون وقومه لهم حين قال: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[الأعراف: ١٢٧]، اشتكى بنو إسرائيل ذلك إلى موسى عليه السلام، فثبّتهم وسكّنهم بأن يسألوا الله المعونة على فرعون وقومه، وأن يصبروا على ما ينالهم منهم من الأذى والمكاره في أنفسهم وأهليهم وذرياتهم، ثم وعدهم أنهم إن فعلوا ذلك أهلك اللهُ عدوَّهم واستخلفهم في الأرض ومكّنهم فيها، وكانت عاقبتهم النصر والظفر والسعادة والجنة.

لكن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام بنفوسٍ ضيّقة نافرة متضجرة: إنه قد نالنا الأذى قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا -وقيل: قبل أن تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا-، وها نحن ذا نؤذى أيضًا من بعد ما جئتنا بذلك. فكأنهم سوَّوا بين الحالتين، وأنه لا فرق بين حالهم قبل رسالة موسى عليه السلام وبعدها!

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٣١/١٣، ٣٥٨/١٨؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٧٢/٣؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٤١٣/٢، ٢١٩/٣.

(٢) انظر: الفوائد، ص١٨١؛ وطريق الهجرتين، ص٦٢-٦٥؛ ومدارج السالكين، جميعها لابن القيم، ١٠١/١، ٢٠٩-٢١٠.

(٣) أكثر هذه المواضع قد سبقت الإحالة إلى مصادرها في ثنايا الحديث عن الانحرافات السابقة، فأغنى عن إعادتها هنا.

ومن المتيقَّن المقطوع به أن بين الحالتين كما بين السماء والأرض؛ فحالهم بعد الرسالة ليس كحالهم قبلها البتة، فإن الرسالة ضروريةٌ للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، وسعادتهم في معاشهم ومعادهم باتباعها، ولا حياة للقلوب ولا نعيم ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا باتباعها(١).

وكذلك فإنهم كانوا قبل رسالة موسى عليه السلام في عذابٍ وبلاءٍ ربما لا يترقّبون من بعده نجاةً وفرجًا ولا يأملون نصرًا ولا عزة، ولكنهم بعد رسالة موسى عليه السلام قد وعدهم الله بذلك كله وأعظم؛ ولذلك نبّههم موسى عليه السلام على حالهم الحاضرة وما سيصيرون إليه في حالهم المستقبلَة، بأن الله سيهلك عدوهم الذي سامهم سوء العذاب، ويجعلهم يخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم(٢).

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٧-١٢٩].

ثانيًا- التشكّي والعتاب من خلق الله وتدبيره: وهذا هو الوجه الآخر للصورة السابقة، فإن البلاء يقع على أنبياء الله والصادقين من أتباعهم، وهم في هذه الحال مأجورون معانون موعودون بالفرج والنصر، لكن بعض بني إسرائيل نقموا على ما يأتيهم من أذى فرعون وقومه بعد رسالة موسى عليه السلام، وسوَّوا بينه وبين الأذى الذي كان ينالهم قبل رسالته عليه السلام، فجعلوا تقدير الله وتدبيره لهم -بما يحصل لهم من الأذى لاتباعهم موسى عليه السلام- لا نعمةَ فيه ولا خير ولا عاقبة حميدة، ولذلك بيّن لهم موسى عليه السلام أن تدبير الله لهم هذا الأذى سيعقبه الفرج والنصر والتمكين، فقال لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

ثالثًا- معارضة حكمة الله في شرعه: لا يشرع الله أمرًا إلا وله سبحانه فيه حكمةٌ عظيمة، والواجب على العبد هو الرضا والتسليم والانقياد دون تردُّد ولا اعتراض -فضلاً عن التشكيك والاتهام-، وحين سأل بنو إسرائيل موسى عليه السلام أن يناجي الله ليعرفوا قاتل القتيل الذي أحدث أمرُه بينهم فتنةً شديدةً واضطرابًا مُهلكا، أمرهم

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة، ٩٣/١٩-٩٤؛ والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ١٥٠/١.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ٤٢/١٣-٤٥؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٣٩٦/٢-٣٩٧؛ ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢٢٢/٢؛ وزاد المسير، لابن الجوزي، ١٤٦/٢؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٤٤١/٢-٤٤٢؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٦٣/٧؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٦٠/٣؛ وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي، ص٣٠١.

موسى عليه السلام –عن أمر الله– بذبح بقرة، وهو سبحانه أعلم بأمره وشرعه، فكان من الواجب عليهم الإيمان بحكمة الله في ذلك، لكنهم دافعوه بعقولهم، وعارضوه بأهوائهم، واستهجنوه بنفوسهم المريضة، واتهموا رسولَ الله –فيما يبلّغهم عن الله– باللعب والسخرية والجهل! فطعنوا في حكمة الله في أمره لهم بذبح البقرة لمعرفة القاتل!

رابعًا– العجز والجُبن في الأمر والنهي: المؤمن وقّافٌ عند أوامر الله ونواهيه، ويوقن أن ذلك لا يأتي إلا بخير، ويعلم أن أقدار الله واقعةٌ لا محالة، فهو يسعى في فعل الأمر وترك النهي ويسأل الله من خير قدره ويستعيذ به من شره، ولا يكون خوفه من القدر دافعًا له لفعل المنهي وترك المأمور دون عذرٍ شرعي، وحين أمر موسى عليه السلام –عن أمر الله له– قومَه أن يدخلوا الأرض المقدَّسة، ونهاهم عن أن ينكلوا ويرتدوا على أعقابهم؛ كان الواجب أن يبادروا لفعل المأمور وترك المحظور سائلين الله النصرَ، ولا سيما أن موسى عليه السلام بشَّرهم بأن الله قد كتبها لهم في اللوح المحفوظ، ولا رادّ لقضائه سبحانه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[المائدة: ٢١]، لكنهم قاسوا الأمور بالمقاييس الدنيوية المحضة، دون إيمانٍ ولا يقينٍ بقدر الله، فرأوا أن أهل الأرض المقدسة أقوياء أشداء لا يُغلبون، وأنهم إن قاتلوهم –والحال هذه– فسيكون مصيرهم القتل والهلاك، فشعروا بالعجز وجبُنوا عن الاستجابة لموسى عليه السلام، ومن ثم؛ تركوا المأمور وفعلوا المحظور!

خامسًا– عدم الثقة بوعد الله: وكم كان هذا الأمر مستشريًا في بني إسرائيل، غالبًا فيهم، حتى كأنه صفةٌ راسخةٌ فيهم لا تفارقهم، وفي ذلك عدم إيمانٍ بقدر الله الذي قضاه، وهذه أربع صورٍ تدل على ذلك:

أ– عندما أمر موسى عليه السلام قومَه بالاستعانة بالله والصبر في مقابل أذى فرعون وقومه؛ أخبرهم بأن الأرض لله، فهو خالقها ومالكها ومدبرها، وهو سبحانه الذي يجعلها لمن شاء من عباده، فيمنعها ويأخذها عمّن هي تحت يده ليعطيها بعده لمن شاء، وفي ذلك بشارةٌ عظيمةٌ لهم بأن الله قد قضى أنه سينصرهم ويمكّنهم: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف: ١٢٨]، لكنهم لم تطِب نفوسهم بهذا الوعد الكريم، بل رأوا أن حالهم بعد رسالة موسى عليه السلام كحالهم قبلها، وكأنهم يستبعدون حصول ذلك الوعد لهم!

ب– وحين أمر اللهُ موسى عليه السلام بأن يسير بقومه ليلا، أوحى إليه بأن فرعون وقومه سيتبعونهم: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾

[الشعراء: ٥٢]، وكان اتجاه موسى عليه السلام في مسيره تجاه البحر عن وحيٍ من الله له؛ فكان في ذلك وعدٌ وبشارةٌ من الله بنجاة موسى عليه السلام وقومه، فلما بلغوا البحر رأوا أن فرعون وقومه قد قاربوهم حتى رأوهم، فلم يطمئنوا إلى وعد الله لهم بالنجاة، وهو لا يخلف الميعاد، وإنما تشاءموا بموسى عليه السلام، وتوجّهوا إليه بالتشكيك والعتاب بأن فرعون وقومه سيدركونهم ويتمكنون منهم فيفعلون بهم الأفاعيل، فكان موسى عليه السلام هو المؤمن بوعد الله: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[الشعراء: ٦٢-٦٦].

ج- وأعظم ما كان منهم من عدم الإيمان والثقة بوعد الله: حين أخبرهم موسى عليه السلام -بعد نجاتهم من فرعون وقومه- أن الله وعدهم أن يصيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه موسى ويناجيه بما فيه صلاحهم بأوامرهم ونواهيهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾[طه: ٨٠]، فلما أخذوا في السير تعجَّل موسى عليه السلام للقاء ربه، ولما أبطأ عنهم، نبذوا وعد الله لهم وأخلفوه، واستبدلوا به اتباع السامري في عبادة العجل، بل زعموا أن العجل هو إله موسى عليه السلام! ولذلك قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾[طه: ٨٦]. فبيَّن لهم أنهم بما فعلوه -من عبادتهم العجل- قد أخلفوا جميع ما كان بينهم وبينه من وعود (كإخلاص العبادة لله وحده، ونصرة الله ورسوله، وموافاة موسى عليه السلام في جانب الطور الأيمن الذي واعدهم الله إياه، وحسن الخلافة بعده في غيبته)[1].

د- وبعد أن أمر موسى عليه السلام قومه بأن يدخلوا الأرض المقدسة، بشَّرهم بأن الله قد أثبت في اللوح المحفوظ أنها لهم مساكن ومنازل، ووهبها لهم دون الجبابرة الذين فيها، فليس الشأن منهم إلا أن يدخلوها فيكون لهم النصر والظفر والتمكين، لكن هذه البشارة العظيمة لم تحرِّك فيهم ساكناً، ولم تجعلهم يقدِمون إيماناً بوعد الله وقدره، بل غلبهم الجبن والخور والعجز، وخذلوا رسولهم، وتخلوا عن نصرته، وامتنعوا عن طاعته!

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣٥٠/١٨-٣٥١؛ وتفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، ١٢٢/٣؛ والتفسير الوسيط، للواحدي، ٢١٧/٣؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٥٨/٤؛ وزاد المسير، لابن الجوزي، ١٧١/٣.

الخاتمة

وبعد، ففي ختام هذا البحث، الذي كان موضوعه (انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام) من خلال نصوص القرآن والسنة، أصل إلى عرض ملخص نتائج البحث، وتوصياته.

ملخص نتائج البحث:

١- يُطلَق (الانحراف) في مجال العقيدة على معنى المَيْل والانصراف عن العقيدة الصحيحة التي أنزلها الله على رسوله، وتغييرها، إلى الباطل والضلال الذي مصدره الهوى.

٢- تميّز طوائف من بني إسرائيل –في حياة موسى عليه السلام– بالجراءة والزيغ عن الصراط المستقيم، بعصيانهم موسى عليه السلام ومخالفتهم إياه، تارةً بالتصريح، وتارةً بالتلميح، في حضوره وغيابه، مع علمهم ويقينهم بصحة وصدق رسالة موسى عليه السلام! مما أوقعهم في الانحرافات العقدية عامة.

٣- وقع بنو إسرائيل –في حياة موسى عليه السلام– في انحرافاتٍ منكرةٍ في أعظم مباني الدين، وهي أركان الإيمان.

٤- انحرف بنو إسرائيل –في حياة موسى عليه السلام– في الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته:

- ففي ربوبية الله: طلبوا من المخلوق أن يجعل لهم إلهًا، وطلبوا أن يُجعَل المخلوقُ المربوبُ إلهًا، وسوَّوا بين المخلوق المربوب والرب الخالق في جواز أن يكون كلٌّ منهما إلها.
- وكان انحرافهم في ألوهية الله سبحانه متمثِّلاً في أربع صور، هي: استحسان الشرك بالله تعالى في عبادته، طلب الإشراك بالله سبحانه في عبادته، الوقوعُ في الشرك وفعلُه، تركُ عبادة الله مطلقًا وعبادةُ غيره.
- كما وقعوا في عددٍ من الانحرافات العقدية المتعلقة بأسماء الله وصفاته، وهي: الجهلُ بعظمة الله سبحانه وارتكابُ ما يناقض تعظيمَه سبحانه، وصفُهم الله بصفات النقص والعجز، الجهلُ بقدرة الله سبحانه وقوَّته وعزّته.

٥- انحرف بنو إسرائيل –في حياة موسى عليه السلام– في إيمانهم بكتاب الله (التوراة)، فإنهم لم يقبلوها، وإنما اشترطوا أن تكون متوافقةً مع أهوائهم ورغباتهم، فرفع اللهُ الجبلَ فوقهم وأمرهم بقبول التوراة والعمل بهم وإلا أسقط الجبل عليهم، فحينها آمنوا

بها كُرهًا وخوفًا، لكنهم أضمروا الخلاف والعصيان في قلوبهم، ثم ما لبثوا أن أعرضوا عنها.

٦- من الانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل -في حياة موسى عليه السلام- في جانب الإيمان بالرسل: معصية الرسول (موسى عليه السلام)، وخذلان موسى عليه السلام وترك نصرته، والتعنُّت باشتراط أو طلب ما لا ينبغي وبالتعجيز، والتشكيك في صدق موسى عليه السلام، ورمْيُ موسى عليه السلام ووصْفُه بما لا يجوز أن يوصف به الرسل والأنبياء، ومحاولة قتل هارون عليه السلام.

٧- من مظاهر انحراف بني إسرائيل -في حياة موسى عليه السلام- في الإيمان بالقدر: التشاؤم والتضجّر من شرع الله ودينه، التشكّي والعتاب من خلق الله وتدبيره، معارضة حكمة الله في شرعه، العجز والجُبن في الأمر والنهي، عدم الثقة بوعد الله.

التوصيات:

من خلال استعراض المادة العلمية للبحث في مظانها؛ يوصي الباحث بالكتابة في أحد الموضوعين الآتيين:

١- أثر الانحراف العقدي لبني إسرائيل في حياة موسى عليه السلام، في انحرافاتهم العقدية عبر تاريخهم.

٢- الأحكام المترتبة على (انحرافات بني إسرائيل في أركان الإيمان في حياة موسى عليه السلام)، دراسة عقدية مقارنة بأحكام الإسلام.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

- الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٧هـ (ط١).
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق:دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م (ط١).
- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، الدمام، رمادى للنشر، ١٤١٨هـ (ط١).
- أديان وفرق، أمين محمد القضاة وآخرون، عمّان، دار عمان، ومكتبة الأقصى، وإربد، مكتبة الحرمين، ١٤١١هـ (ط١).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد العمادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، التاريخ: بدون (ط بدون).
- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣ه (ط١).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي؛ وتتمته للشيخ عطية سالم، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (ط بدون).
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ (ط٢).
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د.ناصر بن عبدالكريم العقل، الرياض، مكتبة الرشد وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ (ط٥).
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، ١٩٩٩م (ط١).
- إيثار الحق على الخلق، محمد بن نصر المرتضى اليماني ابن الوزير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م (ط٢).
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ (ط١).

- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير، بيروت: مكتبة المعارف، التاريخ: بدون (ط بدون).
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا وعادل عبدالحميد العدوي وأشرف أحمد، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ (ط١).
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م (ط بدون).
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الهاشمي، تحقيق: د. محمود قدح، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ (ط١).
- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د.محمد بن عودة السعوي، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ (ط٦).
- تفسير أسماء الله الحسنى، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ١١٢، ١٤٢١هـ.
- تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة؛ محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م (ط١).
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ (ط٢).
- تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ (ط٣).
- التفسير الوسيط، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ (ط١).
- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز بن محمد الخليفة، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٧هـ (ط١)
- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام التيمي، تقديم وتحقيق: د. هند شلبي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ (ط١).
- التوضيح عن توحيد الخلاق، سليمان بن عبدالله آل الشيخ، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٤هـ (ط١).

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ (ط١).
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ (ط١).
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد عبدالعليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ١٣٧٢هـ (ط٢).
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ (ط٢).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م (ط بدون).
- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ (ط٢).
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٥هـ (ط٤).
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ط٤).
- الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع (ط١).
- الروح، محمد بن أبي بكر ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ (ط بدون).
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ (ط٣).
- زاد المسير في علم التفسير، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ (ط٣).
- الشخصية الإسرائيلية، حسن محمد ظاظا، بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ (ط١).
- شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م (ط بدون).

- شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ (ط١).
- شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالله بن عبدالمحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ (ط١٠).
- الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر الدميجي، الرياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ (ط٢).
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ (ط بدون).
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٧هـ (ط٤).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق؛ بيروت؛ اليمامة، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (ط٥).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط بدون).
- الصفدية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض، دار الفضيلة، والمنصورة، دار الهدي النبوي، ١٤٢١هـ (ط بدون).
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق وتخريج وتعليق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ط٣).
- طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي؛ أكمله ابنه: أحمد، المطبعة المصرية القديمة، التاريخ: بدون، (ط بدون).
- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٤هـ (ط٢).
- العبودية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ (ط٧).
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مكان النشر: بدون، دار ومكتبة الهلال، التاريخ: بدون (ط بدون).
- غريب الحديث، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢ه (ط بدون).

- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق وتعليق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ (ط١).
- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي، إعداد: وليد بن إدرييس منسي؛ السعيد بن صابر بن عبده، دار الفضيلة، الرياض؛ دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م (ط٢).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (ط بدون).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٢م (ط٢).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد ابن حزم، القاهرة، مكتب الخانجي، التاريخ: بدون (ط بدون).
- الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ (ط٢).
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي، علق عليها: نخبة من العلماء، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م (ط٢).
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ (ط٤).
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
- الكليات، أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ (ط٢).
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، بيروت، دار الكتب العلمية، التاريخ: بدون (ط بدون).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الرياض، دار الكتب، ١٤١٢هـ (ط بدون).
- مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، التاريخ: بدون (ط بدون).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبدالحق بن غالب ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ (ط١).

- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م (ط١).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ (ط٢).
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (ط١).
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م (ط١).
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ (ط١).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ (ط٢).
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من المحققين، تنسيق: د. سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة؛ دار الغيث، ١٤١٩هـ (ط١).
- المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، الرياض، دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، ١٤١١هـ (ط١).
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٨هـ (ط١).
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ (ط١).
- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ١٩٧٩م (ط١).
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ (ط بدون).

- موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ١٠٧، ١٤١٨/١٤١٩هـ.
- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م (ط١).
- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم؛ دار الشامية، جدة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ط١).